ونعم العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما
يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الآية
وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه
اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني عليه وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر
للحكم والرضاء بالقدر هذا فضيلة الصبر من حيث النقل فاما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا
تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل
معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما ينتظم
من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال
فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين
الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان
والاسلام في كتاب قواعد العقايد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قايمة
الصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة
كيفية الترتيب بين الانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهايم
والملائكة اما في البهايم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهايم سلطت عليها
الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم
الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى تلك الشهوة صبرا واما
الملائكة فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط
عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند
آخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه
الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب

وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما
لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهايم ولكن الله بفضله وسعة
جوده اكرم ابن آدم ورفع درجته عن درجة البهايم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين
احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهايم واختص بصفتين احدهما معرفة
الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك
حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا مصلحة العواقب بل
الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ فاما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال
فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة
ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم يكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض
النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها
بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود
لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب
امداد الله تعالى عبده بالتاييد كما ان نور الهداية يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه
الصفة التي بها فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم
مطالبة الشهوة بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قايم بين باعث الدين
وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من
الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر
عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة
الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة
ولم يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة فهو عمل يثمره حالة
تسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال يثمرها المعرفة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)